8me Année No. 376 — Lundi - 16 - 9 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة
١٤٣٧ درس ينفع أبناء هذا الجيل : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٤١ تطور اللغة وارتقاؤها ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
١٤٤٤ بين جنات الأرواح وجحيم الأجساد ... ... : الأستاذ نجيب محمد البهبيتى
١٤٤٨ عراك فى غير معترك ... : الأستاذ محمد متولى ... ...
١٤٥٠ على هامش النقد : بمناسبة ذكرى حافظ ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
١٤٥٢ الطابور الخامس فى القرآن : الأستاذ عبدالرزاق ابرهيم حميدة
١٤٥٥ خواطر فى الحرب ... : الأستاذ محمد عرفة ... ...
١٤٥٦ محنة فرنسا ... [قصيدة] : الأستاذ محمود غنيم ... ...
١٤٥٧ ذكرى المصرى » : الأستاذ مختار الوكيل ...
١٤٥٨ « هـالويا » كما قال داود : الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
١٤٦١ غذاء العواطف والعقول : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٦١ سرقة أدبية قبيحة ... : الأستاذ محمود عساف أبو الشباب
١٤٦١ الغناء المصرى ... ... : الأستاذ كامل يوسف ...
١٤٦٢ المعانى شائعة ولا تجوز الملكية فيها ... ... : الأستاذ محمود المرسى خميس
١٤٦٢ حول « الجندول » ... : الأستاذ محمد السيد شوشه
١٤٦٢ غلطة ! ... ... : الأديب ابراهيم محمد نجا ...
١٤٦٣ استدراك ... ... : ... ...
١٤٦٣ إلى الأستاذ ابراهيم أدهم : الأستاذ ابراهيم حسنين البريدى
١٤٦٣ ثوت بالحلّ وناء بى ... : الأديب محمود مصطفى بدوى
١٤٦٤ على هامش التاريخ المصرى ... ...[كتاب] : تأليف الأستاذ عبد القادر حمزة باشا بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٦٥ من الأدب الفرنسى » : لصاحب الرسالة ... ... بقلم الأستاذ «عابر سبيل» ...
١٤٦٦ القديس لا يحار [قصة] : الأستاذ يحيى حقى ... ...

درس ينفع أبناء هذا الجيل

للدكتور زكى مبارك

يختلف الناس اختلافاً شديداً فى قوة الحس ويقظة الروح. والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية، وهما السناد الأعظم للكاتب والشاعر والمفكر والفيلسوف، وبقدر اختلاف هؤلاء فى النصيب الموهوب أو المكسوب من هاتين الجارحتين تختلف حظوظهم فى السيطرة على أهواء السامعين والقارئين. والذى يقرأ تراجم الأكابر من الكتاب والشعراء والوزراء يرى أنهم كانوا فى الأغلب أصحاب شهوات. وهنا يشتبه الأمر على القارئ المبتدئ فيسأل: كيف تجتمع العظمة والشهوة؟ وهل تكون الشهوة من وسائل العظمة؟ ويجيب بأن الخضوع للشهوة عيبٌ نهى عنه الحكماء، والذى يقترف الفجور تشبهاً بما وقع فيه عظماء الرجال هو مخلوقٌ سخيف، ومَثَلُه مَثَل « فلان » وهو شخصٌ جيّد الخط، وقد شهد له بذلك أساتذته يوم كان تلميذاً فى المدارس الثانوية، فلما سمح له الدهر بأن يكون أستاذاً فى أحد المعاهد العالية، صار يقبّح خطه عامداً متعمداً ليندرج فى زُمرة العلماء، فقد كان سمع أن خطوط العلماء مَضرِب المَثَل فى القبح والغموض والاعوجاج!

ولا مؤاخذة يا فلان، فأنت تعرف مبلغ حرصى على الجهر

بكلمة الحق . ومن هنا أشفق أشد الإشفاق على الشبان الذين يستهينون بالآداب والتقاليـد ، لأنهم سمعوا أن عظماء الرجال لم يكونوا يقيمون وزناً لمأثور الآداب والتقاليد . والفرق بين الحالين كالفرق بين إناء تملأه فيفيض وإناء يملى فيفيض . فالرجل العظيم لا يقع — حين يقع — فى الخضوع لإحدى الشهوات إلا وهو مغلوب على أمره بقوة الإحساس ، وهو لذلك يظل سليم الشخصية الخُلُقية ، ولا كذلك الشاب السخيف الذى يخضع للشهوات تشبُّهاً بالعظماء ، فإن شخصيته الخُلُقية تنحلّ أبشع انحلال، لأنه لم يخضع لهواه طاعةً لقوّة قهارة من الحس المشبوب ، وإنما يخضع لهواه طاعةً لنزعة مرذولة من نزعات التقليد الممقوت

يضاف إلى ذلك أن الشهوات المنسوبة إلى العظماء يغلب عليها التزوير والاختلاق ، لأن واضعيها يرجعون إلى فريقين : فريق الفَجَرة الذين يهمهم أن يشاع أن الخُلُق السليم ليس حجراً أساسياً فى بناء العظمة الذاتية ، وفريق الحاقدين الذين لا يتورعون عن خَلْق التُّهم فى التشهير بمن يعادون من العظماء . ولو صح أن الشهوات المنسوبة إلى بعض أكابر الرجال حقيقية لوجب القول بأن الأخلاق ليست إلا كلاماً فى كلام ، وأن الشهرة والجاه يُنالان بالتحكم والسيطرة كما تُنال بعض الثروات بالغش والتدليس ، وذلك قولٌ مردود . والذى يقف فى التعرف إلى شخصيات العظماء عند ظواهر الهَنَوات محكومٌ عليه بالخذلان ، لأن العظماء لهم قُوًى خُلُقية لا يفطن إليها عوامّ الناس ، وتلك القُوَى الخفية هى السرّ فى نجاح أولئك العظماء ، وهى ليست قُوًى عادية من التى يتمدح بمثلها مَن لا يملكون من المواهب غير الاستقامة وضبط النفس فى حدود المبتذَل من الشهوات ، وإنما هى قوًى عارمة تمكّن أصحابها من الجهاد بأمن وعافية فى مكافحة الضغائن والحقود ، والشدائد والخطوب

وأذكر فى هذا المقام ثورة بعض الناس على السيد جمال الدين الأفغانى وقد عابوا عليه أن يجلس فى القهوات يوم كان ذلك من العيوب ، فأولئك القوم لم يكونوا يرون قوة الخُلُق فى غير البعد عن مواطن الشبهات ، وفاتهم أن الجلوس على القهوة بالرغم من استهجانه فى ذلك الوقت لم يكن فى نظر السيد جمال الدين الأفغانى إلا حسنةً من الحسنات ، لأنه كان فرصة لدرس أحوال الجمهور والوقوف على ما اختلف وائتلف من نوازع الناس

وأين الجلوس على القهوة من الشمائل الحقيقية لجمال الدين الأفغانى ؟ وهل عرف المتألبون عليه لذلك السبب الحقير كيف استطاع بقوته الذاتية أن يكون حديث الوزراء والملوك فى الشرق والغرب ؟ وكيف استطاع بعظمته الروحية أن يتغلب على مصاعب الفقر والاغتراب ؟ وكيف فرض عليه روحه العظيم أن يرفض معونة رفيقيه العظيمين محمد عبده وسعد زغلول وهو خارج خروج الطريد من الديار المصرية ؟ ؟ ؟

وأذكر أيضاً شيخ الشيوخ محمد عبده فقد ألحّ حاقدوه فى اتهامه بترك الصلاة ليجوز لهم الرجم بأنه لا يصلح لتولى الإفتاء ، ولو فطن الجمهور إلى أن قالة السوء هى التى منعت الشيخ محمد عبده من الصلاة فى العلانية لأدركوا أنه كان يخشى الوقوع فى هُوّة الرياء ، ولعله كان يريد أن يعرف كيف ينصره علام الغيوب على من يغتابونه ظالمين

ومن هم أعداء محمد عبده ؟ هل كانوا حقيقة من أحلاس المساجد ؟ وهل كانوا غاية فى الحرص على الصلاة والزكاة والصيام والقيام ؟ إنما كانوا طلاب صيد ، وكانوا بتجريحه يتقربون إلى إحدى الجهات ، فحل عليهم غضب الله ، ولم يبق لهم من الغنيمة إلا الإشارة من وقت إلى وقت بأنهم قالوا فى ذلك الإمام كيت وكيت . وبعض الناس ينحصر مجده فى الشهرة بأتهام الأبرياء !

ولو سلّمنا جدلاً بأن الشيخ محمد عبده كان تارك الصلاة — ورحمة الله على العهد الذى كان فيه ترك الصلاة من العيوب ، فقد خفتُ أن تصبح فريضة الصلاة من المجهولات عند أبناء هذا الجيل — لو سلمنا بذلك لكان الأمر عجبا كل العجب ، لأن الشيخ محمد عبده كان يملك من القدرة على أهواء النفس ما يمكنه من أن يجود بثلاثة أرباع مرتبه على المعوزين والبائسين من الذين يمنعهم الحياء من إعلان الاحتياج ، ولولا شهامة الشاعر عبد المحسن الكاظمى لما تعرضت مكارم الشيخ محمد عبده إلى الافتضاح ، فكيف يجوز لرجل يُذلّ ماله هذا الإذلال أن يضعف عن أداء الصلاة وهى من وسائل المرائين فى كسب ثقة الجماهير ، إلا أن تكون صلته بربه أعظم من أن تحتاج إلى إعلان ؟

لقد كان المصلون من الأزهريين يعدون بالألوف فى عصر

الشيخ محمد عبده ، ومع ذلك لم نسمع بأنهم تنازلوا عن شىء من أرغفتهم فى مواساة المحتاجين ، وإنما سمعنا أن الشيخ محمد عبده مات فقيراً وأن منافسيه ماتوا وهم أغنياء

وهل فكر أحد فى القيمة الصحيحة لرجل يتغلب على الجدْب والإمحال فى الحياة الأزهرية لعهد مضى عليه أكثر من نصف قرن فيكون الفيصل بين العجمية والمدنية ، ويكون صلة الوصل بين القديم والحديث ، ويفسّر جزأين من القرآن وهو فى رياض سويسرا حيث يطيب لسواه أن يأنس بحياة اللهو والفتون ؟

هل فكر أحد كيف جاز أن يسيطر محمد عبده على تلاميذه تلك السيطرة العاتية ، فيقضى السيد رشيد رضا عمره فى شرح آرائه العلمية ، وينفق الشيخ مصطفى عبد الرازق أطيب أوقاته فى توضيح مذاهبه الاجتماعية ، ويتأثر الشيخ محمد المراغى خطواته فى الإصـلاح الدينى وفى سائر الشؤون حتى صار من العجب أن يكون خط الشيخ المراغى صورة من خط الشيخ محمد عبده مع صعوبة التشابه فى الخطوط ؟ ... كيف أمكن ذلك أيها الناس ؟

ألا يكون ذلك دليلاً على أن الشيخ محمد عبده كان يعيش فى حماية حَصانة خُلقيـة لم يدرك أسرارها المتألبون عليه من الزملاء الأغبياء ؟

وقد أشرت فى الطبعة الثانية من كتاب « عبقرية الشـريف الرضى » إلى ما صنع الشيخ المراغى مع علماء الأزهر الشريف ، فقد كان شاع أن الشيخ المراغى نسى علوم الأزهر لبعد عهده بالحياة الأزهرية ، فرأى الرجل أن يلقى دروساً علنية فى علم الأصول ليريهم أن الذهن الثاقب كالسيف لا يضرُّه طول العهد بالإغماد فى غياهب القراب

وما قيمة العلوم النقلية بجانب العلوم المكتسبة من فهم سرائر المجتمع ؟ ... وأين الأزهرى الذى يملك القدرة على محاورة مدير الجامعة المصرية فى الحفلات كما يقـدر الشيخ المراغى على ذلك بسهولة لا تعرف التكلف والافتعال ؟

كنا مرة فى المفوضية العراقية بالقاهرة ، والتقى لطفى باشا بالشيخ المراغى ، وأقبل الشيخ رشيد رضا يقول : هذا لطفى باشا مدير الجامعة المدنية ، وهذا الشيخ المراغى مدير الجامعة الدينية ، والدين فوق المدنية . فابتسم لطفى باشا وقال : هـذا حق ما دام الشيخ هنالك . وأجاب الشيخ المراغى : مادام لطفى باشا فى الجامعة المصرية فهى الشقيقة الرءوم للجامعة الأزهرية ، وما كان الدين إلا رسول الحضارة والفهم والعقل . ثم تواتر الحديث بين الرجلين فى غاية من التلطف والترفق والعطف

ومن مزايا هذا العصر فى مصر أن تكون الجامعة الأزهرية ـ وهى على الضفة الشرقية للنيل ـ تحت رياسة رجل يتجه أحياناً نحو الغرب ، وأن تكون الجامعة المصرية ـ وهى على الضفة الغربية للنيل ـ تحت رياسة رجل يتجه أحياناً إلى الشرق

وبذلك لا يكون من الشر أن يقال إن مصر بلد الغرائب ، لأن الغرائب لا تجتمع فى مصر إلا وهى صورة من الانسجام المقبول فى شرعة الأدب والذوق

ماذا أريد أن أقول ؟ أنا أريد القول بأن الأخلاق الحقيقية للعظماء هى أجلّ وأدقّ من أن يفهمها عوام الناس ، وما تملّق متملقٌ بهفوة صورية لرجل من الأكابر إلا وهو غافلٌ جهول ، فما تسمح قوانين الحياة بأن يسود رجل إلا وهو على جانب من متانة الخُلُق ، وسجاحة النفس ، ورصانة الطبع ، وطهارة القلب ، ولو كره المتزلفون إلى المجد بالوصولية والضِّعة والاستخذاء

دلونى على عظيمٍ واحد أُثِر عنه الانقياد لهواه فى صباه

ما نبغ فى الدنيا نابغٌ إلا بعد أن قدم شبابه قُرباناً للمجد .

وكان أشياخنا يقولون : « أعط العـلم كلك يعطك بعضه » . فما بالُ بعض الشبان فى مصر أو فى غير مصر يعرفون مراتع اللهو قبل الأوان فتزدان بوجوههم مقاصير الملاعب والمراقص ، ويكون لصيامهم تاريخ فى حياة الفتون ؟ وما بال بعض الشبان يعرفون سُكْر الخمر وهم على خطر من سكر الشباب ؟

أنتم لا تعرفون نعمة الله عليكم ، أيها الجهلاء ، والجهل هو الشباب فى لغة أهل العراق

من ألفاظ مصر كلمة « الشَّنْدَرة » والشندرة الحقيقية للشاب هى أن يكون بين الأوائل فى الدراسة الابتدائية والثانوية والعالية. الشندرة الحقيقية للشاب هى أن يكون قرة عين لوطنه ولأبويه ، ولن يكون كذلك إلا إذا تفوق فى جميع الشؤون. الشندرة الحقيقية للشابّ هى أن يفوز فوزاً مطلقاً بثقة أساتذته وزملائه بحيث يتقدم إلى معترك الحياة وهو مرفوع الرأس وضّاح الجبين

ما بال بعض الشبان يسابقوننا إلى المشارب والملاعب ؟

نحن ننشى تلك الأماكن من حين إلى حين لندرس أخلاق الجيل ، فلا تكونوا موضوع الدرس ، ولا تعرّضوا سمعتكم لسهام الأقلام ، فما يبقى على نَوْشها أديمٌ صحيح

إن كان غرّكم أن يتظرف رجلٌ مثلى فيقول إنه دخل الملعب الفلانى أو الحانة الفلانية ، فأنا أتحداكم أن تثبتوا أنى شربت فنجان قهوة فى غير دارى قبل أن أظفر بإجازة الدكتوراه أو قبل أن أبلغ الثلاثين

وما أقوله عن نفسى أقوله عن الأدباء الذين يسيطرون على عقولكم وأفهامكم فى هذا المعهد . فالدكتور طه حسين فى سباه لم يعرف من النعيم غير كَرْع ماء التين . والأستاذ عباس العقاد لم يعرف فى شبابه غير مقارعة الأحاديث فى سهرات أسوان ، وقد زرته قبل عشرين سنة فى دار تواجه المقابر بحيث لا يجد الماء إلا بفضل السقّاء . والأستاذ ابراهيم المازنى قضى طلائع شبابه فى دار جافية لا تعرف الأنس بغير سحالى الصحراء . والأستاذ عبدالعزيز البشرى شهد على نفسه بأنه كان يتغدى بخمسة ملاليم مع أن أباه كان عمدة حيّ البغّالة وكانت إليه مشيخة الأزهر الشريف

لا تخدعوا ، أيها الشبان ، بالأدباء الذين يتحدثون عن هواهم الأثيم فى باريس ، أو غير باريس ، فلن يكونوا ألأم منى ، ونحن لا نسمح لأحد بأن يكون أحرص منا على الواجب ، ولو خطر فى البال أن فى الشبان من يحاول سبقنا إلى المجد بقوة الكفاح لقطعنا رأسه بلا ترفق ، ولو كنت أتوهم أن فى أبناء هذا الجيل من يسدّ المسالك فى وجهى بالسباق فى ميادين الدرس والبحث والتنقيب لطويت عنه هذا النصح ، فما أحب أن يكون لى فى هذه الميادين خصم أو قريع

فى سنة ١٩٢٧ خطر للدكتور طه أن يغمز أساتذة اللغة العربية فى أحد دروسه بالجامعة المصرية فقال : كيف يجوز لهؤلاء أن يتولوا تدريس الأدب فى المدارس الثانوية أو العالية وليس فيهم من تصفح ديوانين اثنين من دواوين الأدب العربى ؟ ! فنهضتُ وقلت : « أرجو استثنائى من هؤلاء ، فأنا أحفظ ثلاثين ألف بيت من الشعر العربى وأستطيع إنشادها جميعاً فى أى وقت »

فابتسم الدكتور طه وقال : أنا لا أقصد أساتذة الجامعة المصرية . ولم يكن كلامى ضرباً من التحدى المؤقت ، وإنما كان حقاً من الحق . وما اكتفيت بالثلاثين ألفاً إلا إشفاقاً على طلبة الجامعة ، فقد كانت مختارات البارودى من بعض محفوظاتى ، وكنت أحفظ دواوين برمتها من الشعر الفرنسى ، وقد حفظت معظم كتاب تلماك عن ظهر قلب فى سنة ١٩١٩ وكان المسيو كليان حدثنى أن أسلوب فنلون هو المطمع الممتنع . ولم أكن أعرف نظام الجذاذات عند الشروع فى تأليف كتاب « الأخلاق عند الغزالى » فكنت أرجع إلى الشواهد فى مؤلفات الغزالى بغير احتياج إلى دليل ، فقد كانت مؤلفاته مسطورة فى ذهنى بأبوابها وفصولها وصفحاتها بحيث أجد الشاهد حين أشاء ، بلا عناء

وما استطعت ذلك كله لأن ذاكرتى أقوى من سائر الذاكرات ، أو لأنى أذكى من سائر الناس ، وإنما استطعت ذلك لأنى لا أعرف المسامحات فى صيف أو شتاء . وما أذكر أبداً أنى انقطعت عن الدرس فى يوم من أيام المواسم والأعياد ، حتى أيام البواخر قرأت فيها أشياء وكتبت أشياء . وهذا بالتأكيد حال كثير من الأدباء فى هذا المعهد ، وقد يكون فيهم من يفوقنى فى الصبر على مكاره الدرس والتأليف ، فليست الحظوظ أو الظروف هى التى جعلت بعض أدبائنا أئمة مرموقين فى الأقطار العربية والإسلامية ، وإنما هو الكدح الدائم والكفاح الموصول

أما بعد فبأى حق يجوز لطالب العلم أن يجلس فى أحد المشارب وفى يده كأس ؟

وبأى حق يتسامى الشبان الظرفاء إلى السيطرة الأدبية والعلمية وهم يدفنون مهرها من الكسل والخمود والاعتماد على وساطة الشفعاء ؟

من حق كل إنسان أن يتخير مصيره كيف شاء ، فلن يكون الناس جميعاً نوابغ وعبقريين . أما طالب العلم فلا يملك هذا الحق ، لأن الأمة تفرض عليه أن يكون مضرب المثل فى الحرص على الفهم والاجتهاد والتحصيل ، وهى لن ترضى منه بالقيمة الصغيرة فى منافعه العلمية ، لأن مصر فى هذا العهد لم يبق فيها مكان لغير المتفوقين ، ولكن أين من يفهم هذه الحقيقة من أبناء هذا الجيل ؟

لقد كثرت الشكاية من وقف صفحات الجرائد والمجلات على طائفة معروفة من الباحثين ، وكثر تضجّر الشباب من طغيان الكهول . وهذا حق ، ولكنه سُنّةٌ طبيعية ، والأحمق هو الذى يطمع فى تبديل نواميس الوجود بالتوسل والرجاء

وأنا أكشف الستار عن بعض الدسائس الأدبية فأقول : فى مصر اليوم إصرارٌ عنيف على الاستبداد بمغانم الحياة